المبحث الأول

الخصائص العامة لرسالة الإسلام

obeikandl.com

المبحث الأول

الخصائص العامة لرسالة الإسلام

في إطار من عملية مراجعة ونقد ورصد لتلك الأبعاد الغائبة عن الخطاب الإسلامي المعاصر التي جعل من غيابها عنه .كما أشرنا . خطابا جغرافيا إقليميا أو قوميا في بعض الأحيان بالرغم من كل التأكيدات اللفظية على "**العالمية**" كان لا بد من تفصيل القول في بيان هذه الأبعاد الغائبة عن الخطاب الإسلامي المعاصر، وكيفية استرجاعها وتضمينها ذلك الخطاب من جديد لعله يسترد فاعليته ويتجاوز . بإذن الله . أزمته، فنقول وبالله التوفيق:

إن أهم خصائص الإسلام التي نحتاج للوعي عليها في هذا المجال لنستحضر ما غاب عن خطابنا من أبعاد: الشمول في الشريعة مع التخفيفوالرحمة. والعموم في الإسلام والزمان والمكان والغائية والعالمية في الخطاب والحاكمية للكتاب والخاتمية في النبوة والرسالة والتجديد الإنساني السنني المعتمد على وعي الإنسان وقدرته على اكتشاف منهجية التجديد وآلياته في القدرة على قراءة الوحي والجمع بينها وبين قراءة الكون والواقع.

تصحيح المفاهيم، وفي مقدمته مفهوم "الدين":

لقد كان المفهوم الشائع لكلمة "دين" ومشتقاتها في اللغات السامية وفي الحضارات القديمة خاصة "البابلية" وتشريعات حمورابي يرتبط ارتباطا تاما "بالقانون" وما يتعلق به من قاض وحاكم وحكم. وفي سفر التكوين وردت الكلمة ومشتقاتها بمعنى "الله" و"حكم الله" وذلك ينبه إلى علاقة ذلك بالتصور اليهودي لفكرة "الحاكمية الإلهية" وينظر سفر التكوين (6:30 ، 16:49) وفي الموسوعة اليهودية في الجزء الرابع أوردت معان خمسة لكلمة "دين" لم تتجاوز كثيرا معاني القضاء والعدل والحكم وماله علاقة بذلك. إن الموسوعة اليهودية في مواضع أخرى من الجزء السادس أشارت إلى أن كلمة "دين" تشمل القانون بسائر مصادره فحتى القانون المنبثق عن النماذج العلمانية يطلق عليه "دين".

obeikandi.com

فلا غرابة ـ بعد ذلك ـ أن يسود هذا المعنى في مرحلة الثقافة الشفوية وينزل المفهوم القرآني للفظ "دين" على المعاني الواردة في تلك الثقافات القديمة ولا يبذل جهد يذكر في إعادة بناء المفهوم قرآنيا. وهو مفهوم يقوم على دعائم أساسية تتصدرها القيم العليا في الإسلام وهي قيم "التوحيد والعمران والتزكية" ثم ما يندرج تحتها من مراتب للقيم المتنوعة.

ثم يمتد المفهوم ليشمل كل ما يندرج تحت مفاهيم "الإيمان والإسلام والإحسان" ثم يمتد ليشمل كل ما يندرج تحت "الشرعة والمنهاج". ثم يتجاوز ذلك إلى بعض لوازمه ليشمل "فقه التدين" و"الالتزام بالدين" وما يترتب على ذلك من حساب وجزاء.

مناقشة هذه القضية الهامة بتفصيل مناسب وبيان ما ترتب عليها ليس من أغراض بحثنا. أما ما يهمنا توضيحه الآن فهو: أن اشتمال الإسلام على كل ما ذكرنا يقتضي أن ينفرد عن سواه من الأديان بخصائص يمكن إجمالها فيما يلي:

1. الشمول:

أما "**الشمول**" فنعني به أن الإسلام قد بين التصور السليم للحقائق الأساسية وعناصر العقيدة ودعائم الشريعة ومنهج الفكر ومنهج الحياة المنبثق عن العقيدة والتصور ومنهج البحث عن الحقائق والتعامل معها، كذلك حدد العلاقة بالكون كله والحياة والأحياء والإنسان والإشياء وأوضح أنها ـ كلها ـ مخلوقة لله العلي الكبير متصلة به، محكومة بإرادته. وأن الحقائق الكبرى وفي مقدمتها حقيقة الألوهية وحقيقة الربوية وحقيقة العبودية وحقيقة الحياة كلها موضحة بوحي الله تعالى في كتابه. كذلك تناول القرآن سائر أوجه النشاط الإنساني من عبادان أو معاملات أو أي نوع من أنواع الممارسات الإنسانية لتأتي موصوفة موضحة، مبينا حكمها في إطار حقيقة "الخلافة" الإنسانية في الأرض فليس هناك نشاط عبثي أو عدمي أو لا ينطبق عليه وصف ما في إطار هذا المنهج الشامل الذي اعتبر كل ممارسات الإنسان المنبثقة عنه أو المنسجمة معه عبادة حتى اللقمة يضعها الإنسان في فم زوجه أو أولاده(1)، وحتى "البضع" (2) في إطار هذا المنهج محوط بتلك القدسية التي تصون الإنسان المكرم من الهبوط إلى مستوى المسخرات له من حيوان ونبات

obeikandi.com

وجماد وسواها فتكون عبادة. فيأنس الإنسان بربه ويفارقه أي إحساس بالعدم أو العبث أو الاغتراب. إنه المنهج الرباني الشامل للحياة كلها.

2. العموم:

وأما "العموم" فهو العموم في البشر كافة وفي الزمان والمكان فهذه الرسالة لم تستهدف قوما محددين في وقت أو بلد محدد، بل هي نداء إلى البشرية كلها، وخطاب للإنسانية جمعاء. فالبشر في إطار المنهج الإسلامي وحدة واحدة وكل موحد لا يتجزأ فالوحدة الإنسانية في هذا المنهج هي حقيقة الحياة والأحياء على تنوع الأجناس والأنواع والوحدة الإنسانية هي حقيقة الإنسان والاجتماع البشري على تنوع الشعوب والقبائل واختلاف الديار، ووحدة الدين سمة من سمات هذا المنهج، ووحدة الرسل والرسالات جزء من العقيدة التي جاء بها،فالبشر. كلهم . قد خلقهم الله من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ليصبح الناس شعوبا وقبائل تسعى لبناء علاقات التآلف بينها بعد التعارف، ثم الدخول في "السلم" كافة. ويضع الإمام الشافعي .رحمه الله . مراحل هذه الرسالة وقد أوضح كيف تتدرج هذه الرسالة في خطابها من عشيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن تصبح خطابا عاما للبشرية كلها. فقال رحمه الله: فكان خيرته المصطفى لوصية المنتخب لرسالته المفضل على جميع خلقه بفتح رحمته وختم نبوته وأعم ما أرسل به مرسل قبله فتنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ الشعراء(214/26)، فخرج عليه الصلاة والسلام ونادى قريشاً فقال: اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئاً، ثم نادى بطون قريش فقال: يابني عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئاً، (والحديث بطوله في البخاري ومسلم). كما أمر عليه الصلاة والسلام بأن ينذر أم القرى ومن حولها فقال عز من قائل: ﴿ لتنذر أم القرى ومن حولها﴾ الشورى☹آية 7). ثم أمر بأن يدعو قومه جميعا وامتن الله تبارك وتعالى عليه وعلى قومه بشرف نزول الذكر فيهم وابتدائه بهم، فقال تبارك وتعالى: ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾ (الزخرف:44/43) وقوم الرجل من ينتمي إليهم على سبيل الإجمالي والعموم وهاهنا هم العرب. قال الشافعي رحمه الله نقلا عن مجاهد قال: يقال ممن الرجل ؟ فيقال من العرب. فيقال: من أي العرب ؟ فيقال من

قريش. ثم بعد ذلك عم الخلق كلهم بالبشارة والنذارة بهذه الرسالة الخالدة(1). وهنا أوضح القرآن الكريم عموم الرسالة فقال تبارك وتعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا ﴾ كما قال جل شأنه: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ فبه عليه الصلاة والسلام خُتمت النبوة ﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾.

3. الغائية:

وأما "الغائية" فتظهر واضحة جلية عند ملاحظة أي جانب من جوانب الخلق، فما من مخلوق صغر أو كبر إلا ولوجوده غاية له وله دور يؤديه في هذه الحياة علمه الإنسان أو جهله: ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ [المؤمنون115/23]، ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ [العنكبوت:2/29]، ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ [القيامة:36/75].

ليس في الكون شيء يمكن أن يقال: إنه حدث بطريق المصادفة أو عن غير حكمة أو علة أو دور يؤديه. فالقول بالمصادفات مظهر من مظاهر الفكر الإحيائي البدائي المتخلف العائد إلى مرحلة النشأة الإنسانية، لكن الإسلام قد أخرج الناس من ظلمات تلك المرحلة ونقلهم من فكر المصادفات إلى فكر يعتمد التعليل المنهجي المنطقي الذي يؤدي إلى اكتشاف العلاقات بين الظواهر والأشياء، ويوجد حالة عقلية تستطيع الكشف عن سنن الله . تعالى . في الكون والحياة والإنسان وإدراك حسن تقديره جل شأنه في كل شيء، ويحدث عن ذلك النشاط العقلي من العلوم والمعارف ما ينظم العقل الإنساني، ويرشد مسيرته ويجعله قادرا على تجاوز الدلالات الجزئية للأشياء والظواهر والحياة إلى ربطها ببعضها لاكتشاف شبكة العلاقات والمحتوى الغائي لها: ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ [الدخان:3938/44].

4. العالمية:

أما الخاصية الأخرى فهي "العالمية" وهذه خاصية شديدة الأهمية وإدراكها وفهمها في هذه المرحلة من تاريخ البشرية بالغ الخطر كبير الأثر، لقد نزل القرآن بلغة العرب وعلى رسول منهم وفي البلدة المحرمة بدأ نزوله، وفي الحرم الثاني المدينة .

obeikandl.com

اكتمل نزوله وبه كمل الدين، وقد خرج العرب بهذا القرآن إلى حوض الحضارات القديمة، ولم يكن خروجهم ذاتيا من عند أنفسهم، وما كان الخروج من طبيعتهم، لكن الله تعالى . أخرجهم في إطار دفع إلهي . لا في إطار استعلاء قومي ذاتي، وعلاقتهم بالقرآن والرسالة التي اشتمل عليها علاقة تكليف وتبنٍّ وإيمان لا علاقة إنشاء وتوليد من ذواتهم. وقد خرج حملة الرسالة الإسلام الأولون ليحققوا مهمتين الدعوة إلى الإيمان بالله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [آل عمران:3/110].

فهي دعوة لتحقيق غايات إنسانية مشتركة بين البشر جميعا تتلخص في "إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة" وكل هذه الأمور يعود نفعها على الناس الذين يوجه إليهم الخطاب جميعا، وبذلك الخطاب المتجرد عن أية مكاسب قومية أو ذاتية، المتجه لصالح الآخرين تحققت في هذه الرسالة وفي "الأمة القطب" التي تحملها قابلية الاستيعاب للآخرين وحضاراتهم وأنساقهم الثقافية، وتحويلهم إلى شركاء متساوين في تبني الرسالة وحمل أعباء توصيلها إلى الآخرين، ولم تكد تمضي على بدء الدعوة وتبليغ الرسالة عقود قليلة حتى غمر الإسلام بنوره النصف الجنوبي من العالم . المعروف آنذاك . أي من جنوب الصين شرقا إلى جنوب أوروبا غربا، وقد استطاع استيعاب الشعوب الوثنية من عرب ومغول وفرس وأتراك وبربر وسواهم في حركة فتح واسعة جرت في إطار ونظام وطبيعة علاقات العالم آنذاك، أما الشعوب الكتابية فقد دخل من دخل منها في عقود ذمة مع المسلمين حفظت لهم شخصياتهم القومية وخصائصهم الدينية والثقافية واستوعبتهم، وانهارت الدولة الرومية في الشام وكذلك الفارسية ليصبح حوض الحضارات القديمة . كله . مستنيرا بنور الإسلام، ولتصبح دولة المسلمين "الدولة العالمية الأولى". لقد استطاع المسلمون أن يتجاوزا ثنائية الشرق والغرب، كما استطاعوا استيعاب التعدديات الدينية والثقافية والحضارية كلها في إطار "عالمية الخطاب الإسلامي"، وإذا كان أقصى ما وصلت إليه الحضارة المعاصرة هو إقرار التعدد فإن عالمية الخطاب

الإسلامي عملت وتعمل على استيعاب التعدد بعد الإقرار به، ودفعه باتجاه "العالمية" ليتحول إلى عامل دفع في إطار تنوع بشري إيجابي تهيمن عليه أنوار الهدى ودين الحق . التي لا تسمح ببروز أية أسباب أو عوامل للإنقسام الديني و الطائفي. فالإسلام قد جعل من نفسه محور جذب لا محور تنابذ وطرد كالمركزية الغربية المعاصرة، وجعل من الأمة المخرجة قطب تأليف واستيعاب.

إن الآيات الثلاث التي ورد فيها الوعد الإلهي في سورة التوبة وسورة الفتح وسورة الصف بظهور الهدى ودين الحق على الدين كله تذكر بأهم الخصائص المساعدة على الظهور، وهي تحري الهدى، والسعي وراء الحق. فالدين مضاف إلى الحق والحق مضاف إليه ولم تستخدم كلمة الإسلام في هذه الآيات لئلا يتوهم البعض أن المراد به إطاره البشري القائم الذي يشمله في إطار امتداده الأول وعمقه الجغرافي الذي وصل إليه خلال الفتح وعمليات الانتشار الأولى فيؤدي إلى لبس أو توهم بأن عالمية الإسلام المنتظرة ستتخذ الأبعاد والوسائل ذاتها كما هو الحال في نبوءات أنبياء أهل الكتاب يتوهمون حدوثها كخوارق تقع بشكل غيبي وبدون أسباب، أو بذات الأسباب التي وجدت في عصور أولئك الأنبياء والرسل. لا.. ما الأمر كذلك، فإن الصيرورة التاريخية محكومة بسنن الله والقوانين التي أحكم الله تعالى إيجادها.

إن الله سبحانه وتعالى قد منَّ على الإنسان وفتح له طريق المعرفة منذ أن قضى باستخلافه، فبدأ بتعليم آدم من الأسماء ما هو ضروري لقيامه بتأسيس مهمة الاستخلاف. ثم تتابعت النبوات بتقدير العزيز العليم لتعين الإنسان على المعرفة وتجاوز القصور الذي يعتريه ومساعدته على القراءة في الكون وفي الوحي ليتمكن من أداء مهامه والقيام بحق أمانته التي اؤتمن عليها وحسن الانتفاع بالكون الذي سخر له واؤتمن عليه، وهذا التسخير لا يقف فقط عند حد الاستخدام المادي للأشياء وإنما هو تسخير معرفي حيث خلق الله سبحانه هذا الكون وأودع فيه سر صنعته وركبه على سنن مسخرة للعقل الإنساني يستطيع إدراكها أو إدراك ما يكفيه منها للانتفاع بمواد هذا الكون ومكوناته.

ولقد بلغت البشرية في طورها المعاصر مستوى متقدما جدا في العلوم والمعارف والمناهج العلمية، وتجاوزت في عمرها المديد العقل الإحيائي الجزئي والعقل

obeikandl.com

الطبيعي، وظلت تتدرج في مراقي المعرفة حتى بلغت "**العقل العلمي**". وها هي قد بدأت تتشكك في بعض معطيات العقل العلمي وتنتقدها، كما بدأت تدرك أن العقل العلمي وإن استطاع أن يقودها إلى التفكيك من خلال "**التحليل**" فإنه قد عجز عن تمكينها من التركيب، وصارت تدرك خطورة المرحلة التي بلغتها بقيادة العقل العلمي، وتشعر أنها إن استمرت في طريقها هذا فإنها سائرة إل العدم والعبث والهاوية أو نهاية التاريخ. والتوتر والقلق الذي يسود أوساط العلماء في الغرب خاصة كبير جدا، إن إخضاع العلوم الاجتماعية والإنسانية لفلسفة العلوم الطبيعية إخضاعا تاما دون ملاحظة أي فارق بين الإنسان المُكَوَّن من نفس ومادة وقوة وعي ذاتية وبين المادة المجردة قد أدى إلى أن يُخضع الإنسان فردا وأسرة، ومجتمعا ودولة، ونفسا وطبيعة، لمناهج تفكيك وتحليل إذا كانت قد أدت كثيرا من الخدمات للإنسان في ميادين الجسم والصحة البدنية فإنها لم تستطع أن تقدم له الكثير في مجالات النفس وما ترتاده من عوالم تتجاوز عالم المادة القابلة للتفكيك والتركيب معاً. ولذلك فإنه حين جرى تفكيك الإنسان بمقتضى تلك المناهج لم يكن من الممكن إعادة تركيب ما فكك كما يحدث عادة في المجال الطبيعي. فحين نُظِر إلى الجانب الغريزي في نظرة بيولوجية محضة وتم تفكيكه بمقتضاها وإلحاقه بسائر الحيوانات الأخرى من هذا الجانب لم يعد من الممكن الحفاظ على مفهوم الأسرة الذي يمثل النواة الحقيقية والوحدة الصغرى للنظام البشري كله. فإذا بمفهوم الأسرة في حضارة الغرب الحديث يصبح فجأة مفهوما سائلا لا ثبات له. فهناك ما يسمى اليوم بالأسرة التقليدية التي تقوم وتتألف من زوج رجل وزوجة امرأة يتم بينهما التعاقد في ظل الدين ويعتد به القانون وتكون ثمرته أسرة تمتد لتشمل أبناء وبنين وحفدة. وهناك أيضا ما أصبح متعارفا عليه أن يتم اتفاق بين ذكرين شاذين يعترف القانون بهما ويتعامل معهما أسرة، وكذلك يعترف القانون باتفاق شاذتين من النساء تتفقان على الإقامة تحت سقف واحد يتبادل كل منهما اسما الزوج والزوجة كما يحلو لهما، وكذلك ما يسمى بـ Single Pament Family يتم عادة بإنجاب ولد زنا أو تبني لقيط أو أي صيغة أخرى. أو تنجب الزانية وتحتفظ بثمرة زناها وتعيش معه منفردة فيتعامل القانون معهما كما يتعامل مع مطلقة من زواج شرعي وثمرة نكاحها. وقد يتبنى

اللوطي أو الزاني لقيطا يضمه إليه أو من يتفق معه على اللواط ويسميان نفسيهما أسرة أمام القانون ويعملان في كثير من القضايا القانونية معاملة الأسرة المعتادة او التي صارت تسمى بالتقليدية. كما أنه لم يعد يعرف بالزواج التقليدي عائقا دون ما اصطلح البعض على تسميته "**الزواج المفتوح**" **أو** "**الأسرة المفتوحة**" وهي طرفان من الزناة رجلا وامرأة يتفقان على الزواج بشرط أن يكون لكل منهما الحرية في ممارسة الزنا مع أطراف أخرى من غير أن يحق للطرف الثاني الاعتراض على ذلك.

وحينما جاء هؤلاء إلى الدين يحاولون الاستفادة به لإعادة تركيب الأسرة وبنائها وجدوا الدين ذاته قد تم تفكيكه في إطار مناهج التحليل وعجزوا عن تركيبه فصاروا يستخدمونه قطعا متناثرة تسمح أحيانا بتشكيل كنيسة خاصة للوطيين يكون رجل الدين فيها لوطيا أيضا وكذا الحال للواعظات من النساء فهناك كنائس للساحقيات اللواتي ابتلين بالشذوذ لها واعظات ايضا ابتلين بنفس المرض وبذلك اتخذ الدين شكل خدمة وظيفية كسائر الخدمات يؤديها لإنسان العصر المفكك الذي لم يعد هناك أي مجال لتركيبه بعد كل ذلك التفكيك الذي جرى إلا من خلال كتاب كوني يستطيع أن يعيد الاستقامة إلى المنهج نفسه وإلى فلسفة العلوم الطبيعية ذاتها وتصحيح مسارها ووضع كل شيء في نصابه واستيعاب قضايا العلم والهيمنة عليها لئلا ينتحر الإنسان في ما يصنع وبما كسبت يداه. ولا شك أن "الإسلام هو الحل " ونعني بهذا أن المسلمين يستطيعون أن يقدموا القرآن العظيم " بديلا حضاريا على مستوى العالم " فكيف يمكن أن يتم ذلك ؟

إن الولقع التاريخي قد رسخ في أذهان الناس الوسائل التي لتبعت في عمليات الانتشار الإسلامي الأولى وهي الفتح،واستقر في الأذهان أن على الأمة السلمة أن تقيم دولة كدولة المدينة لتتولى هذه الدولة مهام دولة المدينة في العالم المعاصر. وتكون قاعدة الإنطلاق نحو العالم لاخضاعه للخليفة المسلم الذي عليه أن يقاتل دار الحرب بدار الإسلام حتى ظهور المهدي ونزول السيد المسيح، كما استقر في الأذهان أن المسلين في حاجة إلى التعبئة الدائمة المستمرة لتحقيق هذا الحلم . بناء دولة التمكين والمنطلق. وقد بقي الخطاب الإسلامي المعاصر حبيس هذه الأمنية

محاطا بتأثيرات التصورات المختلفة لما يعتبر من عوامل أوأسباب أو وسائل تحقيقها، وبقيت العقول المسلمة والأنظار معلقة بالواقع التاريخي فقط (غير ملتفتة إلى الواقع المعاصر أو المستقبل) باحثة عن وسائل تحقيق ما اعتبرته أم الأماني " بناء الدولة والوصول إلى الحكم ". فلم يزدها ذلك إلا بعدا عن تحقيق أهدافها في استئناف حياة إسلامية. وقد زادت تعقيدات العلاقات مع الغرب الطين بلة؛ وخاصة بعد تحطيم دولة آل عثمان وتمزيق كيان المسلمين إلى أشلاء وفقا لتخطيطات " سايكس بيكو "، ذلك التمزيق الذي أدى إلى أن يستنفر كل قطر طاقاته .كلها . ومنها طاقاته الإيمانية ورصيده الديني لمواجهة غزاته ومستعمريه ، وطرد أعدائه ومستذليه من أرضه ودياره فعزز ذلك من مكانة ذلك الموروث بشكل عامزكما عزز من حالة الرفض للوارد من طرف الصراع أيا كان ذلك الوارد ، فتكرست سائر المعطيات الفكرية في الواقع التاريخي الإسلامي في العقل المسلم المعاصر ، وبقيت الأجيال المسلمة تجترها وتسترجعها على الدوام ، واعتبرت معطيات ذلك الواقع التاريخي على اختلافها وسائل حفظ وحماية لكيان الأمة المعاصرة لابد من حمايته والدفاع عنه ، سوالتشبث به كله ؛ خيره وشره ، جيّده ورديئه ، طيبه وخبيثه ، دون مراجعة أو نقد أو تمحيص .

كما أن المغلب مولع بتقليد الغالب ، وتصرفاته يغلب عليها أن تكون ردود أفعال تجاه من سيطر عليه وغلبه خاصة إذا كان المغلوب يعيش حالة أزمة فكرية مستعصية وتوقف عقلي .

وهذا قد جعل عملية " تقديم البديل الحضاري القرآني المعاصر " في غاية التعقيد والصعوبة .

ومن الخصائص الفكرية للعالمية أو المركزية الغربية الراهنة : أنها عالمية وضعية تتدرع بالمنهجية العلمية ، وقد فجرت في الإنسان قدراته النقدية والتحليلية ،وكرست فيه نزعة النفور من كل ما يؤثر في حرية الاختيار لديه ، ولقد انداحت هذهالعالمية لتفرض نفسها وقيمها وخصائصها على الناس جميعا ، ولتضع المعمورة كلها في دائرة تأثيرها بما في ذلك المسلمين وديارهم ، كما دعمت فكرة الحذر والشك في كل ما هو ديني خوفا من الوقوع مرة أخرى في دائرة التأثير

اللاهوتي الديني الكنسي ، فكيف يمكن تقديم الإسلام مصدرا للبديل الحضاري ؟! وكيف تقنع البشرية بأن القرآن الكريم المجيد المكنون المفصل يحمل الحل وهو في نظرها مجرد كتاب ديني ؟ ذلك هو التحدي !!

إن الإسلام لو قُدِّم بذات الشكل الذي يقدّمه المسلمون اليوم به ومنهم الحركات والأحزاب الإسلامية فإن نصيبه من العالم استمرار الرفض والمحاصرة والاضطهاد ولاشك، فإذا قدم الإسلام كعنوان شامل للبقعة الجغرافية التي يعيش المسلمون بها . اليوم . وللعناصر البشرية التي تنتمي إليه وتدعى تمثيله ولمجمل الواقع التاريخي الذي ينتسب إليه ولمعطيات تراث المسلمين في عصر التدوين للتراث الإسلامي وما تلاه فإنه سينظر إليه على أنه الصورة المشوهة ليهودية ونصرانية استطاع أهلوهما تنقيتهما من سلبياتهما وتحجيم تلك السلبيات، وتحويلهما إلى مجرد أديان وظيفية تقدم للإنسان خدمات هو بحاجة إليها فتشبع أشواقه الروحية وقد تعالج بعض أمراضه النفسية. أما الإسلام فإنه يقدم بشكل لا يتناسب وعظمته وقدراته وذلك من خلال التراث والفقه الموروث الذي مثّل محاولة فقهائنا العظام في معالجة مشكلات مجتمعاتهم الزراعية البسيطة أو الرعوية أو ذات التجارة الفردية المعتمدة على التبادل البسيط للمنافع في تلك المجتمعات. وحين يراد لهذا التراث وهذا الفقه أن يستجيب لحاجات معقدة لهذا النوع من المجتمعات المعاصرة واقتصاديتها فإننا نكلفه ما لا يطيق، وهذا سوف ينعكس على الإسلام وعالميته انعكاسا سلبيا فلا ينفي عنه عالميته فحسب، بل يظهره بأنه دين لا يصلح إلا لمجتمعات قروية رعوية بسيطة، وهنا يمكن الخطر فالإسلام دين عالمي منذ انطلاقته الأولى للناس عند نزول "**اقرأ**" على خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وبدأ تأسيسه لمجتمع الدعوة الإسلامية العالمية الذي شمل ما بين المحيطين الأطلسي غربا والهادي شرقا في الوسط من العالم يربط بين القارات الثلاث(آسيا، وإفريقيا، وأوروبا) فدمجت تلك العالمية الإسلامية بين الحضارات والثقافات والأعراق في إطار إنساني واحد، فألغت بذلك(ثنائية) الشرق والغرب، وامتدت أنوار الإسلام إلى اوروبا كما غمرت أنواره آسيا وإفريقيا، واتخذ الإسلام وضعه ختاما لكل النبوّات ورسالة مهيمنة على

الرسالات، استوعبت الجميع بمضمونها الإلهي منطلقة من رسالة دينية منفتحة على الجميع ﴿ **لا إكراه في الدين** ﴾ **[البقرة:2/256]**.

والعالمية الإسلامية هذه مثلت ولا تزال تمثل قوة تفاعل عضوي يوحد البشرية برفع الحواجز بينها. إن العالميات في إطارها الوضعي البشري أكثر ما تبرز الحاجة إليها عندما تتفاقم الأزمات القومية والإقليمية، وتبدأ الأنساق الحضارية الإقليمية بالتراجع والتلاشي. أما العالمية الإسلامية فيقود إليها بالإضافة إلى ذلك غيب إلهي أحكم بداية المسير إليها، لتحكم النهاية الآيات والأحاديث إن شاء الله.

معالم الحضارة الغربية المعاصرة وخلفياتها:

إن كلاً من الحضارات الآسيوية السابقة والإفريقية كذلك لم تشكل (بعدا عالميا) يقابل في عالميته عالمية الإسلام، فالغرب الأوروبي هو الوحيد الذي شكل (عالميتين) مقابلتين تاريخيا للعالمية الإسلاميةالأولى وها هو (يتحدى) ويعمل على إعاقة انبثاق العالمية الإسلامية المرتقبة، وذلك بالشكل التاريخي التالي:

(أ) إن الغرب المعاصر يعتبر نفسه وارث العالمية الهيلينية التي استوعبت حضارات الشرق التقليدية كافة وشمال المتوسط، فتلك أولى العالميات بحكم الاتساع والاستتباع والاستقطاب منذ غزوات الإسكندر المقدوني (356-323 قبل الميلاد).

(ب) وكذلك العالمية الرومانية التي خلفت العالمية الهيلينية منذ توسعها في البحر الأبيض المتوسط(عام 201 قبل الميلاد) ثم سيطرتها على الشرق الأوسط.

وقد تميزت الحضارتان الهيلينية والرومانية بالنهج الوضعي إذ أن تراثهما الديني وثنيّ غير سماويّ يستمد من قوة آلهة الأولمب(بالنسبة لأثينا) ومن قوة القياصرة المؤهلين (في روما) وذلك قبل اعتناق روما للاهوت المسيحي الذي وصل إليها محرَّفا في شكل الإله المجسد، أي بوصفه إلها يستمد خصائصه من مواصفات آلهة الأولمب والقياصرة مؤلهي أنفسهم. فالمسيحية قد تحولت على يد الغرب الوروبي إلى رسوم مثقلة بالموروث الهيليني والروماني ولم يعد لها ثمة علاقة بالأصل

(التوحيدي) الذي جاء به عيسى عليه السلام في الأرض المقدسة التي بارك الله حولها.

ولقد تكونت الحضارتان الهيلينية والرومانية ضمن نسق حضاري له نظرته الخاصة للإنسان وهي نظرة تسمح باستعباد الإنسان بوصفه طاقة للعمل وتسخيره بدون أجر وتحويله إلى قوة مسخرة في نظر أثينا وروما. وأفضل العبيد في نظرهما مصارع في ساحات القتال. والغربيون المعاصرون ورثة هاتين الحضارتين لم تختلف نظرتهم للإنسان كثيرا حيث سخروه في المناجم والصناعات المختلفة، كما سخره أسلافهم في بناء الهياكل... وهذا النسق الحضاري بشقيه الوارث والموروث بني على هذه النظرة للإنسان المؤدية للصراع والتضاد والتنابذ لا محالة.

وفي مقابل ذلك كله تأتي عالمية الإسلام الأولى لتنسخ هذه الوضعيات الثلاث الإغريقية والرومانية والغربية المعاصرة على النحو التالي:

أولاً: في مقابل العالمية القهرية الهيلينية والرومانية جاء الإسلام محررا للشعوب إذ لم يسجل لنا التاريخ، حتى التاريخ الوضعي منه، واقعة واحدة قاتل فيها المسلمون شعوب المناطق التي فتحوها، فقد كان القتال .كله .موجها ضد جيوش الروم وجيوش أباطرة الفرس، وقد ساند الشعوب الفاتح المسلم ضد سادتها فهو أول فاتح في التاريخ يأتي إلى من حوله من الشعوب، لا فاتحا، بل محررا ملتزما بكتاب سماوي يقيده بقيود أخلاقية كثيرة تمنعه من أن يعلو في الأرض أو يفسد فيها. وبذلك أسس الإسلام أول عالمية (مقابلة) للعالمية القهرية.

ثانياً: تميزت الحضارات الإسلامية ضمن مراكزها العربية (المدينة المنورة، دمشق، بغداد، القاهرة وغيرها) بعقيدة توحيد كان من شأنها ألا تستعلي بإلهها (الخاص) الذي لم يكن خاصا لأنه إله الجميع، على آلهة الشعوب الأخرى. فقد انطلقت الحضارة الإسلامية من محاربة الشرك ونشر التوحيد ومد الجسور مع تراث النبوات التوحيدية بقطع النظر عما أصابه من الانحراف فبقيت اليهودية والنصرانية وقبلتهما، وأضيفت إليهما المجوسية وكذلك الصائبة ضمن ديانات متعايشة في إطار الكيان الإسلامي الجامع وبحمايته. فكان الكيان الإسلامي أول كيان يتآلف

فيه جميع الذين يصدرون عن الأديان الإبراهيمية وغيرهم ولا يكره أحد على تغيير دينه: ﴿ **لا إكراه في الدين**﴾ **[البقرة:256/2]**.

ثالثا: تميز النسق الحضاري الإسلامي بعد استعباد شعوب المناطق المفتوحة، فلا المدينة المنورة بناها عبيد يستقدمون من المستعمرات ويسخرون لبناء الهياكل ولم تبن دمشق او بغداد أو القاهرة بهذا الشكل، والزكاة كانت توزع في مناطق جبايتها، وللمؤلفة قلوبهم من غير المسلمين حظ فيها. في حين بنى العبيد المسخرون صروح أثينا وروما. فالنسق الحضاري الإسلامي في إنسانيته هو نقيض النسق الهيليني والروماني.

هذه مقابلات ثلاث لمقابلات إسلامية لها: إسلام توحيد قائم على استرجاع تراث الأنبياء كلهم، وتحريره من كل ما أضيف إليه ودمجه بعالميته يخلف عالمية أوروبية سابقة، ثم لا يكون مثلها في التوجيه العالمي إذ يطرح التوحيد في مقابل الوضعية الملحدة أو المشركة، ويطرح النسق الحضاري الإسلامي مقابل النسق القهري الاستعبادي، ويربط العباد بخالقهم ولا يسخرهم للحاكم أو السلطان.

إذن فقد نسخت العالمية الوضعية المتمثلة بالحضارة الرومانية الهيلينية بعالمية إسلامية أولى تختلف عنها، ويمكن لعلماء التاريخ والنصوص والتاريخ الحضاري ودراسة نمو الأفكار وتشكيلها وانتشارها أن يسترجعوا ويعدوا بالتفصيل(دراسات وافية) لما أشرنا إليه كل من زاويته.

إن الحضارة الأوروبية المركزية . سواء تفرعت شرقا أو غربا . بدأت بإرساء دعائم عالميتها الثالثة منذ بداية سقوط عالميتنا الأولى سواء في بغداد إثر الاجتياح المغولي، أو في الأندلس إثر الاجتياح الأوروبي، ثم ما تلا ذلك من امتداد لما سبقه من حروب لم نسمها نحن "صليبية" فهم الذين سموها بذلك، أما نحن فسميناها بـ "حروب الفرنجة" أو "الإفرنج" وتلك كتب تراثنا وتاريخنا شاهدة على ما نقول، فلم يعودنا إسلامنا شنّ حروب بين هلال وصليب، ولا بين شرق وغرب، فطبيعة الإسلام تأبى ذلك وترفضه. وبعد أن تمكنت عالميتهم الأوروبية "الثالثة" كان غزوهم لأراضينا بداية من نهاية القرن التاسع عشر، ثم كان زرعهم لإسرائيل في قلب الوطن العربي من عالم الوسط الإسلامي في منتصف القرن العشرين.

obeikandi.com

وهكذا فرضوا هيمنتهم زعالميتهم أو مركزيتهم الجديدة على أرض الإسلام كلها، ما بين المحيطين الأطلسي غربا والهادي شرقا، وانتشروا إلى ما وراء ذلك، ثم سادوا العالم بأكمله، فأصبحت الحضارة الغربية الأوروبية ذات الجذور الرومانية من بعد الهيلينية عالمية العالم الجديد تكاد تستوعبه في تفاصيله الحياتية والعقائدية وتفرض عليه نماذجها في كل شيء. إنها تريده عالما على صورتها في كل شيء، فما هي صورتها هذه التي تعود إلينا . اليوم . في شكل "نظام عالمي جديد" ؟ وهذه . أيضا . تسميتهم المعبرة عن نظرتهم المركزية الشمولية.

نعود مرة اخرى إلى المتقابلات الثلاث التي كانت لدى الهيلينية والرومانية. إن الصورة الثلاثية نفسها تتكرر من جديد ضمن عالمية "شاملة" هذه المرة، وهي كما كانت من قبل:

(أ) كزية أصبحت شاملة وعالمية ولم تعد أوروبية فحسب.

(ب) مركزية وضعية لم تعد القيم الدينية من مبررات عالميتها الحضارية، حتى اللاهوت المسيحي طلق قيمه الدينية الأخلاقية.

(ج) نسق حضاري يستند إلى الصراع والاستحواذ بالقوة القاهرة.

فما علينا أن نفعل في مقابل ذلك ؟ لا لإنقاذ أنفسنا فحسب، بل لإنقاذ أوروبا وأمريكا والعالم كله، وتحويل العالم إلى بيت كبير يستقر الإنسان فيه مستمتعا بالسلم والأمن سالكا سبيل الهدى والحق ؟

obeikandi.com

منطلق الدخول في السلم كافة

لسنا نرمي إلى التحيز ضد أوروبا والغرب، ولا إلى تكريس الصراعات الحضارية، لعالميتنا الإسلامية(وخروجنا) من قبل بالرسالة الخاتمة إلى الناس كافة، ودمجنا بين الحضارات والقفافات والإعراق، ونوة خاتم النبيين الوارثة لكافة النبوات، والدين الإسلامي الوارث لكافة الرسالات، وإلغاؤنا . بتوجيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لثنائيات الحضارات البشرية المتصارعة، والتزامنا بعقيدة التوحيد (والتعارف) بين الناس، وعقيدة وجوب الدخول في (السلم كافة)، كل هذا لا يجعلنا ننطلق من منطلق التحيز ولكننا نعذر الغير إن تحيز ضدنا، فللغير . من موروثه التاريخي ونسقه الحضاري ولاهوته الديني . ما قد يدفعه لذلك. أم نحن فما كنا متحيزين من فبل وما ينبغي لنا أن نكون.

إن الله . سبحانه وتعالى . وهو رب المسلمين كما هو رب الأوروبيين ورب الناس كافة، قد وعد وأعد لعالمية إسلامية أخرى تقابل في شموليتها واتساعها مركزية الغرب الشاملة، والمهيمنة . اليوم . على العالم. فكما كانت عالميتنا الأولى بديلا عن المركزية الغربية الشاملة، وذلك حين نعرف كيف تستخدم مداخل منهجيتنا بشكل مناسب فيظهر الهدى ودين الحق على الدين كله.

ليست عالمية تعصب، أو دعوة تنطلق من الخصوصية الجغرافية البشرية لمضاهاة العالمية الغربية. إنها عالمية "الرحمة" لنا وللغربيين على حد سواء وللعالم كله. ولتفصيل ذلك يمكن أن نوضح الأمور التالية:

أولا: إنها عالمية إسلامية أعدها العليم الخبير للعالم كله، لأن العالم يحتاج إليها للخروج من أزماته السياسية والاقتصادية والفكرية والبيئية التي تراكمت نتيجة نسقه الاجتماعي والأخلاقي، ولم تكن أزمة الحضارة الغربية المركزية بأقل من أزمة الأمة افسلامية، والله سبحانه وتعالى أعد رسالته الشاملة ليخاطب بها البشرية جمعاء وينقذها من هذا التردي والمصير الهالك الذي ينتظرها.

ثانيا: إن الخطاب العالمي الذي علينا ان نخاطب به العالم وأن نوجهه للحضارة المعاصرة بتفرعاتها الغربية وغيرها حين نوجهه إلى الحضارة الغربية الأوروبية .

الأمريكية، فإننا نفعل ذلك لأن هذه الحضارة هي الحضارة المهيمنة على السلوكيات البشرية الاجتماعية والثقافية والأخلاقية بحكم مركزها العالمي وتقدمها التقني وعلومها السائدة، وهذه العالمية الإسلامية هي القادرة . في نظرنا . على القضاء على القلق الغربي والأمة المسلمة لن تستطيع أن تجد خلاصها إلا في حمل هذه العالمية وتبنيها، فعلى العقل المسلم أن يستحضر هذا البعد في سائر أحواله ليكون قادرا على توجيه الخطاب الإسلامي المناسب.

ثالثا: إنها عالمية إسلامية منتظرة وحتمية الوقوع، وحين نبدأ العمل لها من الآن فإننا نفعل ذلك (التزاما) بالمسؤولية الخلافية ومسؤولية الشهادة على الناس وليس (تفضلا) منا على الآخرين. وفي التزامنا بمسؤولياتنا أمام الله سبحانه وتعالى تكمن حريتنا . وبخاصة نحن المسلمين . وتخلصنا بذات الوقت من أزماتنا. فما نفعله لغيرنا سوف ينعكس علينا، فقد قضى الله سبحانه وتعالى أن نكون حملة رسالته والشهداء على الناس، فما نفعله للغير نحصده في واقعنا، فإذا لم نبلغ رسالته . كما ينبغي أن تُبلّغ . ونوصل إلى الناس هداه يبقى حالنا عاى ما هو عليه. وهذه علاقة أخذ وعطاء بين المولى الكريم وبين عباده المسلمين فلا ينبغي أن نستعلي على أحد أو نمنّ على أحد حين نقدم للناس عطاء الله سبحانه وتعالى وليس لنا أن نستحوذ على غيرنا بعطائنا بل علينا أن نعمل لتقبل كلمات الله منا، ولنا شهادة من نسقنا الحضاري حيث لم نستعبد أحدا ليبني الهياكل في المدينة المنورة، ولم نكره أحدا عل ديننا، ولم نأ. بغير رسالة التوحيد، ولم نوجد في الأرض تنابذا ونفيا وصراعا، بل استوعبنا سائر الأنساق الحضارية والثقافية وبشكل لم يسبق له مثيل من قبل، ولم يأت بعده ما يشبهه كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

إن الحضارة الأوروبية الغربية العالمية صارت شاملة واستحكمت بعالميتها من اليابان وعبر الجمهوريات التي كانت تسمى سوفياتية ومرورا باوروبا الغربية وامتدادا بثقافتها إلى كل من أمريكا الشمالية ثم امريكا الجنوبية.

ومهمتنا نحن المسلمين رغم سوء أحوالنا وظروفنا أن ندخل ونُدخل الناس في مرحلة الهدى ودين الحق. فأوروبا وامريكا . ونعني بهما حضارتهما المركزية الشاملة عالميا.

تدرك نفسها ومن نفسها وعبر فلاسفتها أنها لن تستطيع إخراج نفسها ولا العالم من المأزق الذي يتجه إليه لأنها تعاني المشكلات الجوهرية التالية:

أولا: إن الحضارة الغربية تتلمس المزيد من التقدم التكنولوجي الذي أعقب ثورتيها الصناعيتين الأولى والثانية، وتعاني في المقابل تدهورا اجتماعيا وحضاريا وقيمياً وأخلاقيا. كما تتطور تقنيته بقدر حاجته إلى ذلك التطور، غير أن الذي يحدث في الحضارة الغربية هو العكس تماما العلوم تتقدم وافنسان ينهار وقيمه تتلاشى وعذابه واستلابه ومآسيه تتزايد.

ثانيا: إن كل محاولات السيطرة على التاريخ لم تعد مجدية بالرغم من المحاولات المتفائلة منذ ما قبل الحرب العالمية الأولى وما قبل الحرب العالمية الثانية، فالكل قد تفاءل وقتها ولكن الحرب قد اندلعت، وتحول البشر فيها إلى وحوش ضارية، فما الذي يمنع حدوث ذلك من جديد وليس ثمة (منهج) للسيطرة على التاريخ كالمنهج الرباني ؟ وكل ما يحدث هو تغير في آليات الصراع ووسائله وأدواته، أما الصراع واستلاب الإنسان فإنه مستمر دائم مهما تغيرت الآليات !!

ثالثا: إن كل محاولات السيطرة على افنسان في النظامين (الاشتراكي المقبور، والرأسمالي القائم) استتبعها ويستتبعها (تمرد) الإنسان. فالإنسان في إطار الشمولية المادية يبحث عن قيمته الذاتية، فيرتد إلى قوميته، ويبحث عن ذاكرته الوجودية فيرجع إلى دينه. وذلك ما حدث في الاتحاد السوفياتي المقبور. والإنسان في إطار الليبرالية والوضعية الغربية لا يحصل ولا تعطيه هذه الليبرالية سوى الفكر الانتقائي المجزأ والمبعثر، يبحث الإنسان عن ذاته فلا يجدها، فيفرغ ذاته في ذاته، انهماكا في الجزئيات، ثم يتأزم ويفارق حتى جذره العائلي، فالحرية بلا مضمون، والإنسان بلا التزام بشيء، بلا عائلة ينتمي إليها، بلا شريك في الحياة يأوي إليه، بلا ولد يفرغ عليه أبوته أو أمومته... حرية إلى حد الموت الذاتي، إلى حد النفس المفككة، إلى حد التردي والهلاك. ماركس تمنى الخبز فوجده، فرويد تمنى الجنس فوجده، أنشتاين تمنى الطاقة فوجدها، داروين تمنى التطور فوجده، فماذا بعد ذلك ؟ إنها العدمية، إنه اليأس فالانتحار.

رابعا: النسق الحضاري القائم على الصراع وغلبة الأقوى وسيطرة الشركات الكبرى حتى على مستوى الإعلانات التافهة أمر يأخذ الغربي باستلاب تام ليختار نموذج التعليم لابنه وطبيعة ما يأكل ويتذوق ويلبس ويمارس ويتصرف تحت ضغط ذلك كله.

لو أردنا تقييم آلاف الصفحات فيما كتب ويكتب في هذه المجالات لفعلنا. فالشواهد لا تنقصنا بحال من الأحوال، فإذا أتينا بهذه الشواهد ونسقناها فلسفيا سنكتشف المحددات الموضوعية التالية لأزمة الحضارة العالمية الراهنة:

أولا: اللاهوت المسيحي . بعد أن استلبه الموروث الهيليني والروماني . لم يعد قادرا على أن يمنح العقل الغربي رؤية كونية تتجاوز مفهوم الإله(المتجسد)، فقضى اللاهوت المسيحي بذلك الوضع على نقاء التوحيد واستبدله بحلولية شركية، وقضى على المفهوم الكوني المتجاوز للطبيعة في الفكر الفلسفي، فأصبح الجهد العقلي الإنساني مقيدا إلى (موضعية) ضيقة، لأن مفهوم الألوهية . الله . (وهو أساس الكونية والعالمية الأولى) اختزل إلى مستوى (الشيء) الطبيعي. فاللاهوت المسيحي نفسه يعد أحد أكبر مشكلات الفكر الغربي المعاصر.

ولهذا فإن العودة إلى الله . حين تتم بموجب هذا التوجه اللاهوتي . فإنه لن تتجاوز العودة إلى ما هو خارج الذات الضيقة، فالغائب الفلسفي في اللاهوت المسيحي هو (الله أكبر) الذي يمثل نقاء وصفاء مفهوم الألوهية والتوحيد ويقدم حلاً لأزمة الحضارات والتعالي والتحيز الحضاري. ودلالة تكبير الله عميقة للغاية، ولكن أكثر الناس لا يعقلون، فحين بنتفي التوحيد أو التنزيه يصبح الإله(متجسدا) حالا في خلقه او مشابها لهم أو متجسدا فيهم، والمدلول الحضاري لتجسد الإله يحمل دليل حاجته كإله(لاعتراف) الإنسان به، أي أنه يفتقر إلى الإنسان ولو من أجل أن يمنحه حبه وولاءه، وليجسد الإنسان نفسه فيه طلبا لقوته . أي قوة الإله. وحين يستغني الإنسان عن قوة الإله المتجسد يستقل عنه ويتجاوز تعاليمه وشرائعه ويطغى، وهذا ما حدث في الحضارة الغربية، فقد صرف الإله عن الفعل والتأثير ثم حين أراد العودة إلى موقعه في إطار أصوليتهم، طلبوا منه أن يعود بطريقتهم. فاللاهوت المسيحي هو أصل في المشكلة الحضارية الغربية. ولايمكن حل هذه

obeikandi.com

المشكلة الفكرية الكبرى إلا بتقديم مفهوم(الله الواحد . الله أكبر) أمام الحضارة الغربية. فالله سبحانه وتعالى إذ هو أكبر من كل زمان ومكان طبيعي لا يستلب لأي منهما ولو بقوة الفعل في الأشياء (كما فعل المسيح عليه السلام)، ومن هنا يتم التفريق بين منهجية الخلق والتكوين الإلهي، ومنهجية جعل الأشياء وتحديد وظائفها. ولأن اللاهوت المسيحي لا يعرف التوحيد ولا يؤمن بأن (الله أكبر) لذلك فإن مفهوم الخلق . نفسه . يضطرب لديه ومنهجية الخلق تضطرب كذلك.

ومن هنا أنتج الفكر الغربي فلسفات العلوم الطبيعية بالطريقة التي أنتجها بها وهي طريقة مبتوتة مبتورة جعلت هذه الفلسفة غامضة مبهمة لا تكاد تدرك أو تفهم وقد نفت عنصر الألوهية من حسابها أو تغافلت عنه فخسرت الكثير من قدرات الامتداد فيها.

ثانيا: العقل الطبيعي ثم العلمي . حين حاكم العقل الأول، أي الطبيعي الخارج من أسر اللاهوت المسيحي ثم دعمه العقل الثاني أي العلمي بتوجهات وصلت إلى حد القطيعة المعرفية مع اللاهوت، تبنت (الثقافة الغربية) ونركز هنا على عبارة (ثقافة) قضية القطيعة مع اللاهوت المسيحي أو (الحياد). فاستغل الماديون استدراجات القطيعة لتكريس مذهب يحيد الله سبحانه وتعالى في حين استغل الوضعيون استهواءات التحييد لجعل مفهوم الله سبحانه وتعالى نسياً منسياً. وتلك هي الظاهرة الأولى في النتائج العكسية (السلبية والإيجابية معا) للعقلين الأوروبيين، الطبيعي والعلمي، أي القطيعة مع اللاهوت المسيحي، ولكن الظاهرة الثانية هي الأخطر.

ثالثاً: التفكيك والعجز عن التركيب، فبعد نمو العقليتين الطبيعية والعلمية في مواجهة اللاهوت المسيحي الضيق، اتجهت العقلية العلمية مزودة بقوة النقد والتحليل إلى البحث في (ما ورائيات) كل شيء بتحليل عميق، يرد كل المقولات إلى أصولهاتساقا مع منطق الحضارة الصناعي، أي تحليل كل مادة إلى أولياتها وعناصرها. وقد أفلحت في ذلك كثيرا الحضارة الأوروبية الغربية بشقيها الشرقي الذي تفكك والغربي الذي ينتظر إلى أن توصلنا إلى (الغزو) الفضائي . وهو في مفهومنا الإسلامي تسخير وليس غزواً . ولكن ماذا بشأن التركيب...؟

قد أفلحوا في فن التركيب . فيما يختص بالمادة الطاقة . ولكنهم عجزوا عن ذلك في الجوانب الإنسانية نتيجة ما أوردناه في الفقرتين (الأولى) ثم (الثانية) فعاشت الحياة الغربية، أو بالأحرى الحضارة الغربية المركزية مشكلة التركيب.

ثم تأتي بعد ذلك المسألة الأخطر في تركيب الحضارة الغربية الأوروبية وهي الخاصة بمشكلة (النسق الحضاري وبنائية التطور التاريخي والاجتماعي).

لتوضيح هذه النقطة المهمة نقول:

إن النسق الحضاري الغربي كما اوضحنا تكوينه منذ استمداده التاريخي للمرحلتين الهيلينية والرومانية، كون ذاته على أساس الصراع والاستعلاء على الآخرين. فالنسق الحضاري الغربي تنابذيّ، يعتمد على سيطرة الأقوى، والتحكم في كل شيء بمنطق القوة. لذلك تصعب فيه ممارسة الدعوات الأخلاقية إلا أن تكون فارغة من القوة ذات الفعالية(الإصلاحية) فلك أن تدعوا إلى الله سبحانه وتعالى بما تشاء وكيف تشاء، وليس لك أن تتصرف اقتصاديا واجتماعيا بشكل يتناقض و"مصالح" المسيطرين، وكل الأشكال المغايرة لفلسفتهم الاقتصادية وفكرهم الاجتماعي تناقض مصالحهم حتما. ومن هنا استهدف النظام العالمي القديم ثم الجديد تذويب خصوصيات الأمم والشعوب الأخرى.

هنا تبدو القضية قضية(نسق حضاري) وليست قضية دين أو أخلاق أو تعاليم، فالغرب بمعنى النسق الحضاري الغربي يسمح لك بالتكلم في الدين كما تشاء، ويحبذ لو تكون داعية للسيد المسيح بالطريقة التي يراها هو، ولكن حين تتجاوز دعوتك هذا النظام المسيطر فإنه يدرج الأمر في إطار (التعبئة السياسية المضادة والأصولية والتعصب والتطرف).

إذن فماذا ينبغي علينا أن نفعل لإيجاد تفاعل بين عالمية الإسلام والغرب بقيادة أمريكا ومركزيتها بعد كل هذه المعطيات.

المشوار ليس سهلاً، ولكنه ليس مستحيلا كذلك:

أولاً: ليس سهلا لأن الغرب يسيش الحالات التي ذكرنا كافة وسيقاوم بشدة أي إصلاح، خصوصا إذا صدر هذا الإصلاح عن فكر (ديني) وبصورة أخص حيث يصدر عن تفكير ديني إسلامي. فللغرب ميراث عقلي طبيعي وعقلي علمي ضد

اللاهوت الديني وله ذاكرة تاريخية مترعة بعوامل الصراع مع الإسلام بالذات، وهو لا يفرق في ذلك العداء بين اللاهوت المسيحي والقرآن العظيم إلا تفريقا شكليا.

ثانيا: إن نسق الغرب الحضاري لا يتقبل دعوات أخلاقية وقيمية تخل بنسقه المهيمن على مجتمعاته وعلى الشعوب المندرجة تحت نفوذه السياسي والاقتصادي خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي حيث يعتبر انهياره شهادة صحة للنظام الليبرالي وتأييدا لسلامة موقفه.

ثالثا: إن أي دعوة إصلاحية تصدر عن عالم المسلمين باذات يعتبرها الغرب طبقا لخلفيات كل ما ذكرناه ولذاكرته التاريخية صادرة عن طرف معاد يجب عليه الوقوف ضدها وتحطيمها مهما بذلنا لإقناعه أو ادعاء التقرب إليه من جهود.

إذن ما العمل ؟!

رغم كل ما ذكرناه فإن هناك بعض المسالك المفتوحة ومنها:

أولا: إن الحضارة الغربية تعيش أزمة حادة بنتيجة التفكيك التحليلي والعجز عن التركيب. وبما أننا وحدنا . في العالم المعاصر نملك بالقرآن المجيد القدرة على التركيب عبر (المنهج المعرفي القرآني) فمهمتنا الأولية والأساسية جدا والضرورية جدا أن نمارس أقوى العلاقات مع مدارس التحليل الغربي . أيا كانت اتجاهاتها وتوجهاتها . وهي مدارس تتسع قواعدها الفكرية والثقافية والفلسفية يوما بعد يوم، فهذه المدارس هي رصيدنا في الاتصال المعرفي بالغرب لأننا وحدنا وبالقرآن العظيم . نستطيع أن نمنحها قدرة التركيب من خلال (المنهج المعرفي القرآني) وهو ما ينقصها.

ثانيا: أن نمنح كل الطاقات الممكنة لحركة "أسلمة المعرفة" في مجالات توجيه العلوم الطبيعية وإعادة بناء العلوم الاجتماعية والإنسانية وإن تطور هذه العلوم في وحدتها الكونية سوف يشكل حافزا لمعظم الغربيين على الانفتاح على منهجنا أو اكتشافه أو الإفادة منه.

ثالثا: وذلك سوف يفتح الطريق أمامنا للوصول إلى الملأ الغربي والنخبة الغربية والتحاور معها في إطار منهجي علمي لا نحتاج فيه إلا إلى التسلح بوعي مفاهيمي على القرآن المجيد وعطائه الذي لا ينفذ وعجائبه التي لا تنقضي. وآنذاك سيكون

المدخل الجديد للعالمية الإسلامية المرتقبة مدخلا معرفيا ومنهجيا يستطيع أن يتحدى عالميا وعلى مستوى السقف المعرفي والمنهجي العالمي الراهن. ونلجأ ونحن نحاول أن نشق طريقنا إلى العقل الغربي . إلى الدعاوي المثيرة للحساسيات ؟ ولكنها البحوث والدراسات العلمية التي تعالج قضايا العالم المعصر وأزماته ومشكلاته انطلاقا من منهجية القرىن العظيم المعرفية، ومنهج الرسول عليه الصلاة والسلام في تطبيقها. وهنا لا بد من الالتفات مرة أخرى إلى الحركات الدينية والداخل الإسلامي للنظر في مدى قدرتها على تفهم هذا الدور الخطير ثم مدى قدرتها بعد ذلك . على ممارسته!!

إن الحركات الدينية وقد قامت تنظيماتها المختلفة انطلاقا من مشروعية دينية تراثية وتاريخية وثقافية قد شدت رؤيتها وأفكارها إلى الواقع التاريخي الإسلامي الغابر فكأنها قد غادرت واقعها إليه، أو هي تغادر إليه في كل أزمة. وحين يحدث أن تستدعي ذلك التراث إلى واقعها فإنها غالبا ما تستدعيه بمنطق سكوني لا يلتفت كثيرا إلى خصائص النص القرآني وبخاصة "إطلاقيّته" فيضعه وكذلك نصوص السنة داخل الهياكل التي بناها الجيل الأول في إطار سقف معرفي ومنهجي وخصائص مرحلية ووقائعه تاريخية لم تأخذ حظها من التوثيق فضلا عن الدراسة والتحليل، ولا يحاول الخطاب الإسلامي المعاصر أن يقوم بعمليات تحليل لتلك الهياكل تساعده على دراستها من الداخل لفهم وتقدير التحولات الهائلة التي يمكن أن تطرأ على تلك الهياكل من خلال التفاعل الإنساني وتغيرات الزمان والمكان وسنن التحول والصيرورة ليستطيع أن يلتفت . بعد ذلك . إلى قيمة وحجم ومقدار تأثير التداخل بين المحلي والعالمي في سياق تفاعلي لا يعرف توقفا أو انقطاعا.

وإذا كانت الأزمة في دائرتها الغربية أزمة تفكيك عاجز عن التركيب لاستعباد الله والوحي والغيب، فإن الأزمة في دائرتها الإسلامية تبدو واضحة في افتقاد منهجية للتعامل مع تراث ذي شمولية لها ما يبررها، لكنها تصطدم على الدوام بمنطق سكوني في تفسيره وتأويله يجعلها عاجزة عن استعمال مداخل التصديق والاسترجاع والاستيعاب والهيمنة القرآنية، وأخيرا التركيب المفتقد عالميا كمداخل منهاجية للتغيير.

وإذ تعجز الحركات الإسلامية عن التغيير بمنهجية معرفية إسلامية فإنها تلجأ إلى العنف التكفيري والتشبث بمعطيات الواقع التاريخي الإسلامي في امتداد الدعوة الأول، والإحالة على الغيب بعيدا عن منهجية الإسلام في التفاعل بين الغيب والإنسان والكون أو التوثب إلى السلطة لإحداث التغيير بإسناد الحاكمية لله تعالى مع ولاية فقيه أو بدونها لمعرفة ماذا يصنع جل شأنه بعد أن يتم استرضاؤه . تنزه وتقدس وتبارك . بتطبيق التشريع الجنائي وإقامة الحدود. وفي إطار هذا التبسيط المخل للإسلام والاختزال الكبير له تصاغ البرامج والمشاريع السياسية التي يؤكد صانعوها بكل المؤكدات الممكنة أنها تمثل الإسلام وتعبر عنه وتنطق باسمه.

وقد بلغ العالم . كله . حد القناعة بأن الحركات والقوى الإسلامية تستهدف بالتغيير سائر أشكال الحكم وجميع الأنظمة ومنها الأنظمة التي يعملون في نطاقها و داخل مشروعيتها السياسية بغض النظر عن استمدادها من الشرع أو الشارع، فالحركات تستهدف . في نظر الناس على الأقل . بتغيير الأنظمة الليبرالية التعددية ذات المنحنى الديمقراطية المتسع او المقيد، وكذلك الأنظمة الاشتراكية ذات الطابع الشمولي والحزب الواحد إن وجدت ولا تتجاوز الأنظمة الملكية دستورية كانت أو مطلقة ولا الأنظمة الملفقة أو المركبة من ذلك كله، وذلك انطلاقا من شموليتها ومفاهيم الحاكمية والشرعية والشريعة لديها. والحركات الدينية ترى نفسها الأولى والأحق والأقرب إلى "الشرعية" ولذلك فهي أولى بالأمر من أية جهة كانت وهي تحاول أن تحرج باستمرار سائر النظم والحركات الأخرى في تدينها وإسلامها، وهي لا تهاون ولا تهادن أية شمولية أخرى فهي تناقض التعددية الليبرالية في مضمون الحرية، وتصارع الأنظمة المختلفة، وتنفي عنها الشرعيةلأنها لا ترى الشرعية إلا فيما تقيمه هي أو تنوي أن تقيمه من هياكل لم يتفق عليها ولم تتضح بعد معالمها حتى في الأذهان التي تنظر لبعض هذه الحركات أو ترسم لها سبلها.

ومن هنا تسمرت أنظار معظم هذه الحركات باتجاه السلطة في الدوائر الجغرافية التي تعيش فيها وغفلت أو تغافلت عن مفاهيم "العالمية الإسلامية" فضلا عن التفكير في مناهج بلوغها ومستلزماتها ووسائلها وأدواتها وآثارها التي لا بد أن تبرز في سائر جوانب الخطاب الإسلامي وكذلك جوانب الحركة الفكرية والعملية.

وهي تظن أن أي نجاح تحققه في قطر محدد بالوصول إلى مقاليد الحكم فيه يمكن أن يتخذ قاعدة ومنطلقا . بعد ذلك . لبلوغ العالمية، هذا إن خطرت العالمية على البال وذلك بعد استكمال مقومات القوة في ذلك القطر بحيث تسمح له بالانطلاق بالرسالة باتجاه العالم، وهو تفكير يتجاوز السنن والأسباب ويفتقر إلى مراجعات وتصويبات كثيرة ليستقيم وينسجم مع السنن الإلهية التي لا تقبل تحويلا ولا تبديلاً.

إن الحركات الدينية قد تمثلت بعض أهداف إسلامية ولا شك، ولكن بوعي مفاهيمي محدد ولم تستطع بناء نموذج يربط بين تلك الأهداف وقوانين وسنن التحول والتغير في المجتمعات، ولذلك أخذت تقنع نفسها بعمليات "الاستقطاب الكمي" للأعضاء والامتداد الأفقي مستخدمة كل ما تيسر لها لتجميع القوة العددية ومنها وسائل الدعوة، فالتغيير لا يزال في ذاكرتها مرتبطا بتكوين "الجماعة" ذات القوى العديدة، أما التعامل مع قوانين الحركة الاجتماعية والتاريخية وقواعد وسنن التغيير والتحولات الفكرية والثقافية واتجاهاتها العالمية فذلك خارج عن دائرة تفكير الكثير منها. ولذلك فكثير منها يتعالى على الفكر والمعرفة ويجعلهما نقيضين للإيمان ويفترض بينهما فصاما يصل إلى حد التنافي والتعاند.

لاشك أن هذه الظاهرةفي طريقها إلى التغيير ، وأن هناك محاولات كثيرة لتجاوز هذه المآزق والخروج من دائرة الأزمة ،لكن تلك المحاولات لاتزال عاجزة عن إعطاء الدافعية المطلوبة للخروج من الأزمة ، أو هي أقل من المطلوب بكثير . فمحاولات التجديد في" أصول الفقه " أو في " الفقه ط أو بناء علوم معاصرة تحل محل "علم الكلام" لن تحل "إشكالية الربط الربط بين النص القاطع والواقع بسنن الصيرورة والزمان والمكان".

كما أن التسامح الفقهي وتجهيز الفتاوي باتجاه التشديد أو التيسير لإيجاد التوافق بين ما يعتبره البعض معطيات النص ومعطيات الواقع لن يفعل أكثر من توسيع دائرة الفكر الذرائعي والتبريري والتوفيقي .

وحين يبلغ الأمر هذه المرحلة تلوح فكرة السلطة كوميض برق أوكحل أو كمخرج من أزمة لم يستطع الوسائل والمناهج الفكرية أنتعالجها ، فتصبح السلطة هدفا

تكرس الجهود لبلوغه قبل بلوغه ، وتكرس الجهود للمحافظة عليه بعد بلوغه ؛ وما دام الفكر قد عجز فلم لا تجرب العصا ؟!

إن" الخطاب الإلهي " إلى البشرية حتى في المراحل التي سبقت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خطاب متحد ومعجز ، فلايمكن أن يتقاصر عن تطور البشرية التاريخي ؛ فإذا كانت البشرية تتقدم بخطى سريعة باتجاه العالمية فهل من الممكن أن يتراجع خطاب الرسالة الخاتمة إلى حال الإقليمية أو القومية ، أو المجال الحيوي المحدد ؟! لايمكن ذلك ؛ فالعالمية التي يتوحد البشر في إطارها على قيم مشتركة جامعة تقوم على الهدى ودين الحق هي أرضية التحرك ، ولها شروطها وقوانينها.

إن الإمام فخر الدين الرازي المتوفى عام(606هـ) نقل في تفسيره عن القفال أن تقسيم الفقهاء للأرض إلى "دار حرب، ودار إسلام، ودار عهد " لم يعد مقبولا والأولى تقسيم الأرض كلها إلى " دار إسلام، ودار دعوة" أو "دار إجابة ودار دعوة". وأن تقسيم الناس إلى أمة مسلمة وأمم غي مسلمة يمكن أن يستبدل بتقسيم الناس إلى "أمة إجابة" وهم المسلمون و إلى "أمة دعوة" وهم غير المسلمين.

وتفكير هؤلاء الأئمة بخاصة الشاشي الذي نقل رسالة الإمام الشافعي إلى الإمام ابن مهدي . وذلك يعني أنه من علماء القرن الثالث الهجري . أقرب إلى أصول الإسلام وألصق بأدلته، وأقرب إلى فهم العالمية وإدراكها من هؤلاء المعاصرين أو من قيادات تجهل أو تتجاهل "**عالمية الإسلام**" وتكرس الإسلام في مواقعها الجغرافية المستندة إلى الخصوصيات الإقليمية والتاريخية المغلقة. ولا تزال في تكوينها الفكري والثقافي وبنائها النفسي تقسم الناس والأرض إلى "**دار إسلام**" **ودار حرب**" وإلى شرق وشرقيين وغرب وغربيين. وفي داخل كل قطر تقسم الناس وتصنفهم أيضا إلى طوائف ومذاهب وأحزاب.

إن غياب هذا البُعد بُعد "العالمية" قد أدى إلى العديد من الإصابات الفكرية المنهجية في العقل المسلم، فلو استطاعت الحركات الدينية إدراك هذا البعد مبكرا لما نشأ فكر المقاربات وفكر المقارنات وفكر التجاوز دون استيعاب وهي م أبرز السمات الأساسية للفكر الإسلامي في العقود الأخيرة.

عالميتنا وعالميتهم

لعل ما تقدم في الصفحات السابقة وخاصة تأكيدنا على بعد "**عالمية الإسلام**" وكيفية استعمالها محددا منهاجيا لتعديل كثير من الأفكار يثير في بعض الأذهان تساؤلا: أين هذا النداء والتأكيد على "**عالمية الإسلام**" من نداءات الآخرين وتأكيداتهم على عالمية الحضارة المعاصرة ونسقها الفكري الإسلام. بل قد يرجخ البعض الاستجابة لفكرة "**العالمية**" الصادرة عن الغرب على الاستجابة للتأكيد على "**عالمية الإسلام**".

وهناك نود أن نؤكد ان الفرق بين عالميتنا وعالميتهم كبير جدا. فليس كل من ادعى "**العالمية**" أو تكلم على بعض الأزمات من منطلق "Universal" أو "Global" أو "International" هو منادٍ "**بالعالمية**" كما نفهمها وندركها، بل معظم تلك النداءات أو كلها صادرة عن إيمان بمركزية الغرب ومركزية الرجل الأبيض صانع الحضارة والثقافة وحامل مشاعل التنوير والخلاص.

"**فالعالمية**" التي ننادي بها عالمية تؤمن بأن البشرية أسرة واحدة خلقت من نفس واحدة كلها لآدم وبدم من تراب وأن الكون كله بيت للإنسان كله لا يحق لأحد أن يعيث في أي جزء منه فسادا أو يجعله ميدانا لتجارب الدمار والتخريب، وأن هداية هذه الأسرة الممتدة والضمانات التي تكفل لها العيش السعيد في بيتها الكوني اشتمل عليه كتاب كوني معادل للكون وحركته متجاوز للنسبي، مطلق في خصائصه قادر على استيعاب حاجات كل جيل وتجاوزها ألا وهو "**القرآن الكريم**". فهذا الكتاب الكوني المعادل للكون وحركته وحده الذي يحمل القدرة على استيعاب تراث النبوات كلها، والتصديق عليه واستيعاب التاريخ الإنساني وتحديد مقاصده واستيعاب الحياة الإنسانية حتى اليوم الآخر واستيعاب الأنساق الثقافية والحضارية وتصحيح مسارها. فلذلك هو الذي يحقق "**العالمية**" بمعناها الحقيقي وليست الادعاءات الأخرى.

إن الفصائل اللادينية أو الدنيوية أو العلمانية تحاول أن تنادي "بالعالمية" ولكن في إطار الدعوة إلى التبعية والاستسلام لمركزية أو عالمية الاستحواذ الغربي في إطار ما يعرف بـ "**النظام العالمي الجديد**"، وهي دعوة نقيض لدعوتنا وشعار مفارق

ومغاير لشعارنا. إن دعوتهم تلك تمثل خضوع عقلية التقليد والتبعية و يأسها واستقالتها للاستسلام إلى عمليات الابتلاع والقضاء على الخصوصيات كلها.

إن "**عالميتنا الإسلامية**" عالمية تسعى إلى لتوظيف هذه التوجهات التاريخية التي نجمت عن الثورات المتتالية التي شهدتها البشرية في القرون الأخيرة، وآخرها "**ثورة المواصلات والاتصالات**" وما سبقها وزامنها من ثورة تقنية جعلت العالم يسير بخطى حثيثة نحو عالمية ووحدة بشرية عضوية لم يعد الحديث عنها أو البحث عن أفضل الصيغ لها مستغربا.

فإذا تم توظيف هذه التوجهات وإدراك كونها توجهات تولدت عن تطور تاريخي طويل... قطعت مشواره الأنساق الحضارية للإنسان منذ نشوء الحضارات القديمة وكأنها تعبير عن نزوع فطري لدى الإنسان كامن ينتظر الفرص المناسبة ليعبر عنه، فكان التجاه العالمي في الإسلام للتعبير عنه في الانطلاقة الإسلامية الأولى، وسرعان ما شملت عالمية الإسلام في انفتاحها الأول ما بين المحيطين الهادي شرقا والأطلسي غربا في الوسط من العالم، فألغت ثنائية الشرق والغرب التي كانت سائدة قبل الإسلام، واستوعبت بمنهجها المميزونسقها الحضاري المتميز مختلف الحضارات والثقافات والأعراق، وتفاعلت بانفتاح عجيب مع ثقافاتها وأنظمتها الفكرية والفلسفية، فكان ذلك النتاج الحضاري الثقافي الهائل الذي مثلته الحضارة الإسلامية في كل شيء.

إن "**عالمية الإسلام**" وهي تحمل ذلك الرصيد التاريخي لا تخشى عملية الاستحواذ من قبل المركزية الغربية لأنها تدرك أنها ليست بعالمية، بل مركزية ولذلك فإنها لن تؤدي إلى حالة اندماج توحد البشرية عضويا، فهي في هذه الناحية يغلب عليها القشر الخارجي لـ "**فاست فود**" و "**الجينز**" ونحوها.

أما على مستوى الأفكار والنظم فإنها تعاني من أزمات عميقة جداً . وإن اختلفت عن أزماتنا . فللتقدم أزماته وللتخلف أزماته. إن الحضارة الغربية نفسها بحاجة إلى إنقاذ فهي تعيش حالة اضطراب شديد بعد أن فككت مقولات اللاهوت الديني ومبادئ المعرفة العقلية القبلية القطرية عبر مناهج العلوم الطبيعية التي

obeikandi.com

فهمتها في الحدود السطحية للجدلية المادية والتطوراتية الداروينية والنفسانية الفرويدية ونسبية أنشتاين.

فالغرب إذا لم يستطع أن يمتد بمناهج العلوم الطبيعية نفسها إلى مداهل الكوني ونهاياتها الفلسفية فإنه لن يجد المخرج السليم من أزماته. إن "الحضارة الغربية" قد أطلقت مارد العلوم الطبيعية لكنها لم تستطع أن تتعامل معه إلا في حدود فلسفاتها الوضعية القاصرة، ولذلك تتابعت أزماتها. لقد حاولت الماركسية أن تمنح الفكر الغربي نهاياته الفلسفية، لكن نسبة الأزمة في الماركسية كانت أكبر بكثير من نسبة الحل فتهاوت وعادت الزمة أقوى مما كانت. إن النسق الحضاري الغربي . بوضعه الحالي . لن يتمكن من مغادرة خندق الأزمة. لقد عمت الأفراح ساحات الأنظمة الغربية الرأسمالية عندما انهار الاتحاد السوفياتي واعلنت شهادة وفاته. واعتبرت ذلك انتصارا لفكرها ونهجها الذي لولا أزماته لما قامت الماركسية وما علمت أن ذلك راجع إلى أن أي نهج وضعي يتجاوز الله سبحانه وتعالى والغيب لا بد أن ينتهي إلى ذات النهاية، "وأن جدلية الإنسان الممتدة إلى الغيب والطبيعة تصرع كل نظام لا يستجيب لصيرورتها أيا كانت طبيعة ذلك النظام سواء أكان نظاما لاهوتيا يتجاوز أو يتجاهل قوانين وسنن الطبيعة الكونية، أو لاهوتيا وضعيا انتقائيا يحول الإنسان إلى ترس في آلته الإنتاجية أو لاهوتيا وضعيا مثاليا يجعل الإنسان موضوعا لآلية الزمان أو لاهوتية دينية لا تلتفت إلى حقائق الدين ومداخله وأبعاده المنهاجية وحقائقه".

إن أزمات العالم أصبحت تتداخل، ومع تداخل الأزمات وتحولها إلى أزمات عالمية تصبح الحلول المطلوبة حلولا عالمية. ذلك أنه لم تعد أزمات أي بلد أو شعب أزمات محكومة بالعوامل الداخلية أو الذاتية وحدها، فالتداخل الاقتصادي والبيئي والاستراتيجي والسياسي والثقافي الذي نجم عن ثورة الاتصالات والمواصلات جعل من الخصوصيات والأنساق الحضارية الخاصة أجزاء صغيرة تتداخل في بناء كلي عالمي بغض النظر عن كون هذا التداخل يتم بإرادة تلك الشعوب واستشرافها للمستقبل العالمي، أو بمنطق التفاعل الجدلي الذي لن يسمح ببقاء أي قطر أو شعب بمعزل عن التوجهات العالمية المندفعة بتفاعلاتها ومؤثراتها وتداخلها.

لقد كتب صموئيل هنتنجتن (**Samuel P. Huntingtion**) في مجلة (**Foreign Affairs**) صيف عام 1993، دراسته أو رؤيته عن صراع الحضارات وتكهن أن العقود المقبلة ستشهد صراعا حضاريا سيكون المرحلة الأخيرة في نشوء وتطور الصراع في العالم الحديث. وأشار إلى الشعوب والحكومات اللاغربية التي لم تكن أكثر من أهداف كيف تحولت إلى محركة ومشكلة للتاريخ بجانب الغرب. وأضاف إلى تكهناته: أن العالم في المستقبل سوف يتم تشكيله من خلال تفاعل أو تصارع سبع حضارات: الحضارة الغربية، والكونفوشيوسية واليابانية والإسلامية والهندوسية والأرثوذوكسية والأمريكية اللاتينية، ومن الممكن أن تضم إليها الحضارة الإفريقية. وقد قسم الحضارة الإسلامية إلى عربية وتركية وملايوية وتجاهل الفارسية والهندية والشعوب الأخرى المنضوية تحت الحضارة الإسلامية. كما قسم الحضارة الغربية إلى أوروبية وأمريكية. وأكد على جوهرية الصراع بين الحضارات والذي يجعل هذا النوع من الصراع . في نظره . أطول الصراعات وأكثرها عنفاً.

وقد رصد في مقالته جملة مهمة من الظواهر الحضارية جديرة بالدراسة لكن الذي فاته سذاجةً أو قصوراً هو نظرته إلى الإسلام وثقافته وحضارته التي تتسم بأنها نظرة استشراقية تقليدية. كما أن خلفيته الغربية وانتماؤه إلى حضارة الصراع والتنابذ حرمه من رؤية أي جانب من جوانب الحضارات والأديان والثقافات غير الجانب الصراعي التنابذي الذي هو محور ارتكاز الحضارة الغربية.

كما أنه . على ما يبدو. قرأ خارطة الحضارات المذكورة، كما لو كنا في عام 1500م فلم يعط لثورة التقنية . وما أحدثته،ولا لثورة الاتصالات وما أفرزته . نصيبها في البحث والدراسة ليتبين آثارها.

كما أنه أغفل إلى حدٍ كبير آثار العلوم الاقتصادية والبيئية رغم أنه أشار إشارة عابرة إليها، ولم يستطع الوقوف أمام دلالة عقد "**قمة الأرض**" لبحث مشكلات البيئة المشتركة أو الكون الذي يمثل البيت الإنساني المشترك. كما لم يستطع الوقوف أمام "**النموذج الغربي العلماني**" الذي يكاد يتحول إلى نموذج شامل للغرب تمتد آثاره في الأديان والثقافات والحضارات. وقد ركز الكاتب على صدام الإسلام والغرب، وأعطى مؤشرات كثيرة حول كيفية كسب الغرب لمعركته المقبلة ضد حضارة

obeikandl.com

الإسلام، وكيف يستقطب ضدها من الحلفاء من يعينه فس كسب معركته الحضارية ضد الإسلام الذي لم يعرف الكاتب منه غير صورته التي استصحبها من مخزون الذاكرة الغربية الصراعي.

لا شك ان هذا النوع من التفكير والتحليل ليس بغريب على كاتب غربي مثله، لكنه لو أعطى العناصر التي لم يولها عناية تذكر ما تستحقه من البحث لخرج بنتائج مغايرة، ولأدرك أن كهانته قد تصح وقد تقع إذا لم يكتشف العالم أسسا سليمة لتآلفه في إطار نسق حضاري منفتح لا منغلق، يشكل قطبا لا مركزا يقوم على قيم مشتركة لا على قيم ذات خصوصية قومية أو إقليمية أو دينية، قيم تمثل ثوابت بالنسبة للبشرية كلها.

قيم الهدى ودين الحق تطالب البشرية بالمعروف في فطرتها وتنهاها عن المنكر الذي ترفضه فطرتها وتحل لها الطيبات، وتحرم عليها الخبائث وتضع عن البشرية إصرها والأغلال التي كانت عليها. فتجعل من الإنسان سيد هذا الكون والمستخلف فيه وتجعل من الكون بيتا للإنسان مسخرا له. وتدعو الناس كل الناس أن يلتزموا بتلك القيم ويدخلوا في السلم كافة في حضارة تنظر للناس كلهم على أنهم لآدم وآدم من تراب وتستوعبهم جميعاً.

أما جارودي الذي اطلع على الإسلام وأدرك أن هذه الخصائص فيه فلم يتوقع صراعا بين الحضارات بل حوارا بينها يمهد للعالمية ويهيئ لها. فهو يؤكد في مستهل كتابه "**حوار الحضارات**" ص17... "أن ما اصطلح الباحثون على الإسلام"الغرب" إنما ولد في "**ما بين النهرين**" **وفي** "**مصر**"، ويوجه لوماً شديدا للغرب على جهله بمزايا وخصائص الحضارة الإسلامية خاصة، والحضارات الأخرى عامة. ويحاول أن يدعو الغرب من خلال تجربته الذاتية إلى محاولة اكتشاف الخصائص الحضارية الإسلامية وينوه إلى أن أزمته الذاتية قبل الإسلام كازمة الغرب لأنها أزمة نابعة من انتمائه الحضاري الغربي، ولذلك فإن اكتشاف الغرب للإسلام كفيل بمعالجة أزماته، ثم يقدم دليلا علميا لإحداث "ثورة ثقافية" على مستوى عالمي يتلخص بما يلي:

1. أن تحتل الحضارات غير الغربية في الدراسات مكانة متساوية في الأهمية على الأقل لمكانة الثقافة الغربية في جامعات الغرب ومدارسه.
2. أن ينظر إلى الفكر الفلسفي نظرة جديدة وهو يعني بذلك أن لا يقلل من شأن الدراسات النظرية والفكرية والفلسفية المتعمقة لحساب الدراسات العملية.
3. الاهتمام "**بعلم الجمال**" وإعطائه أهمية لا تقل عن أهمية العلوم التقنية.
4. الاهتمام بالدراسات المستقبلية مع ربط مستمر لها بالتاريخ الإنساني.

لكن جارودي وأمثاله إذا كانوا قد عالجوا أزمتهم مع الفكر الغربي بالإسلام فإنهم لم يتمكنوا من معالجة أزمتهم الجديدة كمسلمين "**لم يرثوا الإسلام إرثا، بل جاؤوا إليه من نسق ثقافي حضاري مغاير**" مع التراث الإسلامي. والذي يلاحظ أزمة هذا النوع من الإسلام الذين يمثلون أوائل ثمار عالميتنا الإسلاممع تراثنا وتراثهم الجديد يشفق عليهم كثيرا، ويرى كيف تضمحل طاقاتهم بعد الإسلام حتى تتلاشى في بحر "**تصوف غنوصي**" لا يختلف كثيرا عما كانوا عليه قبل أن يكتشفوا الإسلام وذلك لأنهم لم يستطيعوا من خلال ذلك التراث المتراكم أن يكتشفوا حقائق الإسلام وخصائصه العالمية بشكل شامل، ولا الفكر الإسلامي المعاصر المكبل بكل تلك القيود الموروثة عن عصر التدوين تمكن من أن يقدم لنفسه ولهم تلك الخصائص.

إن غالبية هؤلاء قد اكتشفوا الإسلام من خلال القرآن المجيد فاقتنعوا به وأدركوا أهميته لكنهم حين جاؤوا إلى التراث الذي جعل المسلمون منه نصا موازيا بحجة أنه شرح للقرآن والسنة أو فهم لقيمها وجدوا فيه الكثير مما فروا منه أو حاولوا مغادرته من إسقاطات تراث الأمم الأخرى أو فهم عصور تاريخية غادرتها البشرية منذ قرون.

لقد نسي بعض المفكرين المسلمين والدعاة أن الإمام الشافعي بنى فقهه في بغداد، وكتب كتابه "الحجة" وقرأه وتلقاه عنه البغداديون أحمد بن حنبل وأبو ثور والكرابيسي وسواهم، ولما غادر إلى مصر أعاد النظر في ذلك الفقه كله، وقال بخلاف أقواله تلك إلا ثلاث عشرة مسألة، وصار له فقه قديم وفقه جديد، وهو إنسان عاش خمسين عاما فقط مع أن الاختلاف بين النسقين الحضاريين البغدادي

والقاهري لم يكن بالعمق الموجود الآن بين النسق الياباني والحجازي مثلا أو النجدي والأمريكي. ومع ذلك فإن فقيه العصر يحاول أن يحمل المسلم اليوم على بناء نسق حضاري جاء على فقه مدرسة الحجازي أو مدرسة الكوفة في القرن الثاني الهجري أو على فقه أهل الرأي وأهل الحديث في تلك الفترة، ويحاول أن يدخل الجمل في سمّ الخياط لا لشيء إلا لعدم إدراكه لما يعنيه مفهوم "**عالمية الإسلام**" من قدرة على استيعاب الأنساق المختلفة في إطار ثوابت قيمية لا في إطار متغيرات فهم معتنقيه المتأثرة بعوامل لا تكاد تحصى.

إن مدخل "عالمية الإسلام" ليس شعارا نرفعه لنفتخر به ونتتشي بترديده، بل هو مدخل منهاجي عظيم الأثر كبير الخطر سيفرض علينا مراجعة تراثنا كله مراجعة دقيقة فاحصة وقراءته قراءة معرفية منهجية اكتشاف نماذجه وإعادة تصنيفه ومحاكمته إلى القرآن المجيد ومنهجيته والسنة ومنهجها في التنزيل على الواقع. وهذا يحتاج إلى آلاف العقول الذكية المتنوعة الجادة المجتهدة المستنيرة بمنهجية القرآن المعرفية ومنهجية السنة التطبيقية. كما يحتاج إلى مئات المؤسسات الجادة في سائر أنحاء الأرض. وآنذاك سنجد تراثا كثيرا في مختلف علومنا ومعارفنا لا بد من استبداله، وتراثا مثله لا بد من تصحيحه، وآخر لا بد من تجديده، كذلك سنجد تراثا يمكن البناء عليه وتقويمه.

وقد يقول قائل: ولِمَ كل هذا العناء ؟ فنقول: إنه قدر هذه الأمة ومهمتها ومقتضى مهمتها في الشهادة على الناس، فرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لا نبي بعده والله . سبحانه وتعالى . يوالي إرسال الرسل لئلا يكون للناس عليه حجة ﴿ **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آيتك من قبل أن نذل ونخزى** ﴾ **[طه: 134/20]** وأكد جل شأنه أنه لا يعذب أحدا حتى يبعث رسولا ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾ [الإسراء: 15/17].

إن النبوة قد ختمت وهذا يعني أن هذه الأمة صارت هي المسؤولة مجتمعة عن تعويض البشرية عن إرسال الأنبياء إليها، وعلماؤها ومفكروها هم "**كأنبياء بني إسرائيل**" كما في الأثر. فتجديد الرسالة وحملها إلى الناس والقيام بامانة الشهادة ليس خيارا إسلاميا تستطيع الأمة أن تقوم به أو تتخلى عنه أو تتساهل فيه،

وأجيالها مسؤولة باستمرار عن تجديد الخطاب الإسلامي وجعله في متناول عقول وأفهام أمم الأرض كلها. وإذا لم تؤدِ هذه الأمة هذا الواجب ولم تتوافر فيها هذه الصفات يصيبها ما يصيب الرسول الذي يتخلى عن مهمته أو أمته، ولم نعرف نبيا أو رسولا تخلى عن رسالته إلا ذلك الذي أشار إليه قول الله تعالى: ﴿ **و اتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين(175) ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فأقصص القصص لعلهم يتفكرون(176) سآء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون** ﴾ [الأعراف: 177.175/7].

تُرى هل هذا الذل والهوان الذي تتمرغ فيه أمتنا في مختلف بقاع الأرض لأنها أوتيت آيات الله فانسلخت منها ؟! وهذا التفكك والتفسخ الذي نعايشه أهو ناجم عن استبدال الخروج إلى الناس بالرسالة والنموذج والمثل والقدوة بالخلود إلى الأرض والالتصاق بها ؟

و لا نعرف نموذجا لنبي فرّ من قومه إلا نموذج يونس عليه السلام: ﴿ **وإن يونس لمن المرسلين (139) إذ أبق إلى الفلك المشحون (140) فساهم فكان من المدحضين(141) فالتقمه الحوت وهو مليم (142) فلولا أنه كان من المسبحين (143) للبث في بطنه إلى يوم يبعثون (144) فنبذناه بالعراء وهو سقيم (145) وأنبتنا عليه شجرة من يقطين (146) وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون (147) فآمنو فمتعناهم إلى حين (148)** ﴾ [الصافات: 184.139/37].

فهل ما تعانيه أمتنا من سقم وأزمات دونها أزمة يونس في بطن الحوت لأنها تخلت عن البشرية ؟ والعمل على هدايتها وترشيدها وإنارة عقولها وقلوبها بالهدى ودين الحق ؟

إن دلالات ختم النبوة ومفهوم الشهادة على الناس يشيران إلى هذا. والله أعلم.

تُرى لو أن هذه الأمة أدركت حقيقة دورها وجوهر رسالتها هل كانت ستنصرف إلى ما تتخبط فيه حاليا من أوحال ؟

ولو أن طلائع هذه الأمة من العلماء والمفكرين والجماعات والحركات والدعاة حدث لديهم الوعي على هذه المداخل هل كانوا انشغلوا بما هم منشغلون فيه عن هذه الرسالة وهذه المهمة ؟!

أما مدخل "**حاكمية الكتاب**" (وهو خاصية أخرى من خواص الرسالة الخاتمة) فهو مدخل شديد الأهمية لأن الإسلام رسالة خاتمة جاءت على فترة من الرسل وفي إطار جملة من السنن الإلهية الحاكمة، ومن بينها سنة الاستبدال ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ [محمد: 38/47].

ومنها سنة التداول ﴿ **وتلك الأيام نداولها بين الناس** ﴾ [آل عمران:140/3].

والذين تم استبدالهم أو جرى التداول معهم هم بنو إسرائيل الذين كانوا آخر الشعوب القومية الذين حُمِّلوا رسالة الله فانحرفوا عنها، ولم يفوا بشيء من متطلباتها ، وحُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها وقتلوا أنبياءهم وتمردوا على أوامر الله ووصايا أنبيائهم بالرغم من تلك المزايا الحسية والتفضيل القومي الذي لم يحظ به أي شعب قبلهم. ومن بين المزايا التي مُتِّعوا بها فلم يرعوها حق رعايتها ولم يعرفوا قيمتها أنه . سبحانه وتعالى . اصطفاهم كشعب وفضّلهم على جميع الشعوب المعاصرة لهم وجعل من نفسه تبارك وتعالى حاكما عليهم يمنحهم كل ما يطلبونه من معجزات حسية مقابل انصياعهم وطاعتهم لله تعالى والتي تصلهم من طريق أنبيائهم. وقد غرّهم ذلك فزعموا لأنفسهم أنهم شعب الله المختار، ثم تزايد غرورهم فادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه.

ثم لجّوا في تمردهم فطالبوه . جل شأنه . بأن يتجاوز حاكميته إليهم ليكلها إلى خلفاء له من أنبيائهم فجعل الله سبحانه وتعالى فيهم داود خليفة نبياً، وسليمان ملكاً نبيا. وكان . جل شأنه . يوجه داود وسليمان للحكم بينهم فيما يثيرون ثم لم يستريحوا لذلك، فطالبوه . جل شأنه . بالتخلي عن حكمهم حيث أمرهم بدخول الأرض المقدسة ﴿ **ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله** ﴾ فجعل لهم طالوت ملكا ﴿**قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال** ﴾ [البقرة:247،246/2].

وشاءت إرادة الله جل شأنه إنهاء الحالة القومية الاصطفائية والتمهيد للعالمية الإنسانية الشاملة فاستبدل بني إسرائيل بأمة محمد صلى الله عليه وسلم لتبدأ الإنسانية سيرها باتجاه العالمية انطلاقا من بناء الأمة القطب، واستبدل مفهوم الشعب بمفهوم "**الأمة**" والرسول القومي بـ "**الرسول المبعوث رحمة للعالمين**" ، ومن هنا تم نسخ جملة ما كان مرتبطا بالحالة القومية والاصطفائية المحدودة.

1ـ نُسخت القومية بالأمة المتداخلة القادرة على استيعاب الشعوب والقوميات والأديان مهما تعددت.

2. نُسخت النبوة الخاصة بالرسالة العامة الشاملة.

3. نُسخت حالة التشريع الإلهي واستبدال التشريع المرتبط بالعقاب ﴿**فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم** ﴾ [النساء: 160/4] بالتشريع لحكمة وعلة ومقاصد تعود.

4. نُسخت القبلة وحولت من التوجه إلى الأرض المقدسة إلى الأرض المحرمة.

5. نُسخت شرائع الإصر والأغلال إلى شريعة التخفيف والرحمة ورفع الحرج.

6. نُسخت العقوبات الدنيوية العامة المعجلة التي كانت تصيب بني إسرائيل بسبب المعاصي إلى العقاب الآخري إلا في جرائم محدودة وفي ظروف وضوابط محددة.

7. نُسخت الحاكمية الإلهية الدنيوية المباشرة أو بالواسطة بحاكمية الكتاب الكريم.

وهنا لا بد من التنبيه إلى أن الحاكمية الإلهية المباشرة لبني إسرائيل اقترنت بعطاء إلهي خارق للعادة يستجيب لهم في كل ما يطلبون. فقد كانوا يمثلون حالة ومرحلة بشرية يرتبط وعي الإنسان فيها بحواسه أكثر مما يرتبط بأي شيء آخر، وعلاقته بالله تقوى أو تضعف تبعاً لانبهاره الحسي بما يقدمه الله تعالى له. فهو يعرفه رب الجنود الصانع للخوارق والمعجزات المادية، والقادر على ما لا يقدر عليه الإنسان من تصرف في قوى الطبيعة، ولذلك رأوا شق البحر، وانبجاس الماء من الصخر ليستقوا بحسب قبائلهم وأسباطهم ﴿ **قد علم كل أناس مشربهم** ﴾ [البقرة:60/2] وأنزل عليهم المنَّ والسلوى، وأحيا لهم الميت القتيل بضربه بجزء من لحم بقرة تشبه في لونها الأصفر عجلهم الذهبي الذي عبدوه، وأتاهم موسى بالألواح. مقابل هذا العطاء الخارق والمعجزات الحسية فلا بد أن تكون هناك عقوبات حسية

openkanali.com

غليظة عند الانحراف فكان المسخ إلى قردة وخنازير ، وشق الجبل وتهديدهم به حتى يظنوا أنه واقع بهم ، وصعقهم حتى الموت ، وحملهم على دخول الأرض المقدسة . وحين شاء . جل شأنه . نسخ تلك الحالة بكل مافيها وبجميع مواصفاتها كان من بين نسخ المفهوم الإسرائيلي للحاكمية الإلهية لتستبدل بحاكمية القرآن العظيم يقأه البشر ويفهمونه كمصدر وحيد منشئ للأحكام ويرجعون لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتبارها المصدر الوحيد المبين للقرآن على سبيل الإلزام ، وذلك لمعرفة منهجية عليه الصلاة والسلام في تنزيل أحكام القرآن على الواقع وفهمه ، وتحليل النص وإدراك معانيه في ضوء إدراك دقيق لبنائية القرآن المجيد ووحدته البيانية ، وكون المعادل للكون ، والمشتمل على منهجية معرفية أشبه ما تكون بسنن الكون الحاكمية فيه ، والضابطة لحركته ، وهذا . أيضا . جعل الإنسان هو المحور ، وجهده هو الأساس في مجال التطبيق فهو القارئ للقرآن وهو القارئ للكون كذلك، لتصبح حاكمية للكتاب بفهم وتطبيق إنسانيين بشريين، للمجتهد المصيب أجران وللمخطئ أجر .

ويبدو أنه قد عز على بعض المسلمين أن يفوتهم بنو إسرائيل بذلك القيد فأخذوا من تراث بني إسرائيل ماشاؤوا ومن غسقاطات التلمود والتوراة كل ما أمكن ليثبتوا أن حاكمية الله . تعالى . قائمة فيهم ، كما كانت في بني أسرائيل . ولم يدرك الكثيرون الفرق بين حاكمية الكتاب ودور الإنسان فيها والحاكمية الإلهية التي يكون الإنسان فيها منفعلا ومحكوما عليه فقط . وهكذا أعطى البعض لأنفسهم صلاحية توقيع الأحكام عن رب العالمين وتوكيد كثيرؤ من شرائع الإصر والأغلال ، وصلاحية تجاهل نسخ حالة بني إسرائيل جملة وتفصيلا ليؤكدوا "**أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ** " ولتصبح هذه قواعد بعض علمائنا الأصولية التي ندرسها في أصول الفقه ناسين أن الله تعالى قد طلب من بني إسرائيل المعاصرين لرسول الله ومن جاء بعده الانضواء تحت لواء القرآن ، والانتماء إلى أمة النبي الأمي صلى الله عليه وسلم ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم(104) ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن يُنزّل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل**

العظيم(105) ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير(106) ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير(107) أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سُئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ﴾ [البقرة:2/104-108].

أما بُعد شرعة التخفيف والرحمة فلنا إليه عودة لتفصيله ، وبيان ما في هذه الخاصية العظيمة ، وكيف يمكن أن تسهم في بناء الخطاب الإسلامي القادر على استيعاب الحضارات والأنساق الحضارية وتجاوزها من مداخل التصديق والهيمنة ، وذلك بعد تناول "منهجية الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون" .

المبحث الثاني

بعض الأبعاد الغائبة

opeikandi.com